

صليبا طوطح أحد رواد الحركة الفنية المعاصرة عصام الخالدي*

سريّة رام الله

دخل صليبا سنة ١٩٥٣ سريّة رام الله الأولى شبلاً، وتدرّج حتى أصبح قائداً لزمرة الأشبال، التي كان عددها يقارب مئتين وخمسة أعضاء، وأصبح عضواً في المجلس الكشفي (أكبر مجلس في السرية). كانت هذه المؤسسة الكشفية القلعة الأولى، التي بدأت تتشكل فيها شخصية صليبا الإبداعية والنضالية، ففي تلك الفترة، قام صليبا بالمشاركة في أكثر من مخيم كشفي صيفي وشتوي، وكان معظم المخيمات الصيفية يُقام في رام الله، بحيث كان الأعضاء يتبعون نظاماً، يعتمد على الإطاعة والالتزام، يعمل على تهذيب الروح والجسد، وكانوا ينطلقون إلى الطبيعة ويتفاعلون معها آخذين من الجبال والوديان الحجارة والنباتات لعرضها في آخر يوم من أيام المخيم. كانوا ينهون يومهم بحفلة سمر، يتوزع بعدها بعض الأعضاء لحراسة علم الحركة الكشفية الخاص بسريّة رام الله، ويخلد الباقي إلى النوم. يُعتبر صليبا فترة انتمائه إلى الحركة الكشفية هي الأهم في حياته؛ إذ شارك خلالها في المهرجانات كلها، التي كانت تُقام في مدينة رام الله، وتتبنّاها بلدية رام الله بالتعاون مع وزارة الإعلام الأردنية وإذاعة المملكة الأردنية الهاشمية. كانت هذه المهرجانات عبارة عن ديكات تتخللها أغانٍ لمطربين، حيث كان معظم الديكات يقوم على ألحانٍ لبنانية لفيروز تؤدّيها فرقة الإذاعة، ومطربين فلسطينيين، مثل الفنان سامي الشايب؛ والفنانة الأردنية سلوى؛ والملحن الأردني جميل العاص. وكان يدرّب على الرقصات الفنان السوري عدنان منيني. برز في هذه المهرجانات دور سريّة رام الله بشكل كبير، فقد شاركت هذه المؤسسة الكشفية فيها لثلاثة أعوام على التوالي، منذ سنة ١٩٦٣.

إحياء المهرجانات

تميز المهرجان الثالث بمسرحية من وحي الفلكلور الفلسطيني، كان عنوانها دار العز، أدّاها أعضاء السريّة وفنانون من الأردن، منهم عمر قفاف الفلسطيني الأصل، كانت أحداثها تدور حول الأرض والتمسك بها، يتخللها بعض المشاهد الهزلية، الذي كان يؤديها القفاف. نالت هذه المهرجانات الاهتمام الرسمي، إذ حضر حفل الافتتاح كل من الملك حسين والأمير حسن، بالإضافة إلى الكثير من المصطافين العرب والمغتربين من أهالي

ليس هناك حديث عن الفن الشعبي الفلسطيني المعاصر من دون ذكر اسم الأستاذ صليبا طوطح، الجندي المجهول الذي يعتبر رائداً من رواد الحركة الفنية الفلسطينية، وقد شهدت له مدن فلسطينية عديدة لما يقارب الأربعين عاماً، تفانيه وعطاءه من أجل ترسيخ فن الدبكة والعمل المسرحي الشعبي في أندية ومدارسها وفرقها الكشفية، ليصبح هذا الفن جزءاً من حياة شببته. هذا وقد تخرج على يده العشرات من الشباب والشابات، ومنهم من أصبح يُدرّب على الدبكة الفلسطينية في داخل الوطن وخارجه. رأى صليبا في هذا الفن، الذي أصبح قوته اليومي قيماً معنوية وثقافية تعمل على تطور مجتمعنا، فكان على قناعة تامة بأن هذا النشاط هو وسيلة عظيمة من أجل تربية الأجيال على حبّ وطنها وتمسكها بأرضها، وسلاح فعال من أجل التصدي للاحتلال وسياسته.

ولد صليبا جريس صليبا طوطح في مدينة رام الله سنة ١٩٤٦، في بيت مكوّن من غرفتين، يقع على تلة الماصيون، يعيش فيه هو ووالداه وأربعة أخوة وأخت واحدة. كان أبوه يعمل طبّاحاً في الجيش الأردني ويأتي كل شهر مرة واحدة مدة يوم ونصف فقط، يعود بعدها إلى عمان.

أحبّ صليبا رام الله ولم يبتعد عنها طوال حياته، فهو يتغنّى بها في مذكراته، ويقول: «ولدت في مدينة رام الله، مدينة الأشجار والثمار، مدينة من أجمل مصايف الدنيا، حيث كروم العنب والتين والتفاح والبرقوق والإجاص والخوخ والزعرور والزيتون والصنوبر والقريش وعيون المياه، حيث الجبال والوديان، ولكن ولمزيد من الأسف! كان ينقص رام الله الماء بغزارة».

* أكاديمي وباحث من القدس.

رام الله، وكان المهرجان يستمر نحو أسبوعين. بعد هذا المهرجان طلب من الفرقة الذهاب إلى العقبة على البحر الأحمر، للمشاركة في مهرجان التزلج على المياه الذي يرعاه الملك حسين، وبعد أن قام أعضاء الفرقة بالعرض، تبرع الملك للفرقة ٥٠٠ دينار وصلتها منها ٣٠٠ دينار، وكما يروي صليباً: «ولم تعلم الفرقة أين ذهب الباقي!»، طلب منها أيضاً المشاركة في حفل عيد ميلاد الملك حسين في عمان، حيث اشترك في هذه المناسبة فنانون عرب، منهم: فريد الأطرش وسميرة توفيق وعبدو موسى وفهد نجار.

يروي صليباً حادثة طريفة في هذا الشأن: «كانت هنالك صالة الطعام، وضع على كل طاولة فيها خروف محشي واقف على أربيعة مسنوداً بأخشاب، دخل جلالة الملك إلى هذه الصالة، ومدّ يده فقط على أحد الخراف حتى أنه لم يتذوقه، وعاد قافل إلى قاعة المسرح لحضور الحفل الخاص بالمناسبة، فتحدثنا فيما بيننا نحن أعضاء الفرقة، وقلنا: إن الليلة عشاءنا دسم فعولنا على ذلك، وبعد أن قدمنا عرضنا ونال إعجاب الجمهور، عدنا إلى صالة الطعام فلم نجد من الخراف سوى هياكل عظمية! فعلمنا أن الجيش هو الذي أجهز على هذه الخراف، وكان جلالة الملك قد تعمد أن لا يأكل من الخراف كي يأكلها جنوده وحراسه بعد ذهابه، وهكذا تعشنا ساندويشات مرتديلا وجبنة صفراء».

جمع المهرجان الرابع الكثير من الفنانين العرب، وكانت إمكاناته المادية والتنظيمية ذات قيمة أكبر، أقيم في منطقة تسمى الطيرة،^١ وعرض في هذا المهرجان قصة عروسة الطيرة، وتعود جذور هذه القصة إلى قصة جنّية، كان يُقال إنها كانت موجودة في تلك المنطقة، وكانت تظهر بين الآونة والأخرى، وتختفي عندما يراها الناس، فما كان من الدكتور عبد اللطيف البرغوثي المتمرس في الفلكلور إلا أن حوّل ظهور هذا الجنّية إلى قصة سُميت عروسة الطيرة، وساهم فيها عدد من الفنانين: فقد أخرجها المخرج الفلسطيني هاني صنوبر؛ ولحنها الفنان جميل العاص؛ ووزّع ألحانها الموسيقار عطية شرارة؛ وقام بالغناء الفنان إسماعيل خضر والفنانة سعاد هاشم؛ ومثّل فيها أعضاء من السريّة وجميل العاص نفسه؛ أما بالنسبة إلى الدبكات، وكما يذكر صليباً، فكانت على أرقى مستوى أداءً وتشكيلاً ولحناً وكلمة، وكان كل من الفنانة وديعة جرار الفلسطينية الأصل وزوجها الفنان مروان جرار مدربين للدبكة. حضر حفل الافتتاح

الملك حسين وجمع غفير من المسؤولين في عمان، وكذلك حضور كبير من المصطافين الفلسطينيين والعرب والمغتربين، واستمر المهرجان مدة أسبوعين، ولاقي نجاحاً كبيراً منقطع النظير.

وبعد هذا المهرجان، طلب من الفرقة المشاركة في مهرجان بيروت ١٩٦٦، الذي تشترك فيه فرق من جميع دول حوض البحر المتوسط، وكان ذلك في الاستاد الرياضي بجامعة بيروت. لذلك، سافرت الفرقة إلى بيروت بحافلة كبيرة من شركة باصات رام الله - القدس، ونزلت في فندق هناك، بعدها ذهبت مساءً لعمل بروفة للعرض الذي ستقوم به، وفي اليوم التالي ذهبت لزيارة مدرّبة الفرقة وديعة جرار في بيتها بלבnan، التي تفاجأت وفرحت بوجودهم، وبالنجاح الذي حققته الفرقة من خلال المشاركة في هذا المهرجان العالمي، وبدأت جرار حينها بتدريب الفرقة في بيتها. ملّئت مدرجات الاستاد في يوم العرض بجمهور المشاهدين، كان منهم عدد كبير من الأردن وفلسطين، فكان هناك فرق كبير في تشجيع الفرق من الجمهور. وبحسب صليباً، فقد كان هذا العرض مميزاً جداً بالنسبة إلى الفرقة، خاصة عندما قامت الفرق بدبكة على أغنية تؤثر في أعضاء الفرقة كثيراً:

برام الله شدا البلبل يغني وسلب عقلي وروحي مني

توقفت المهرجانات في مدينة رام الله، خاصة بعد حرب ١٩٦٧، واحتلال إسرائيل للضفة وقطاع غزة، كان صليباً في تلك الفترة يقدم امتحاناته في عامه الدراسي الأول في مادة التاريخ بجامعة بيروت العربية.^٢ سكن صليباً عند ابنة خاله، المتزوجة من رجل لبناني، كان، كما يصفه صليباً، من ألطف الرجال وأحسنهم وكان كريماً مضيافاً، ولم يشعر صليباً طوال الفترة التي قضاها في بيتهم بأي انزعاج.

قرر صليباً عندما انتهت الحرب، العودة إلى عمان محاولاً قطع النهر تهريباً إلى رام الله. «لم يكن يعرف أحداً هناك سوى شقيقة صديق له اسمه إبراهيم اللدة، وكانت أخته متزوجة من رجل من عائلة السكاب». قامت هذه السيدة الفاضلة هي وزوجها باستقباله واستضافته، وبقي عندهم حتى استطاع العودة إلى فلسطين. عمل في هذه الأثناء متطوعاً مع الصليب الأحمر الدولي، في فرز البرقيات البريدية الواردة إلى الصليب الأحمر. ويقول صليباً إن من يعمل في هذا العمل، يعلم كم كان الناس

٢ كانت تُعرف هذه الجامعة بنظام الانتساب. بحيث يحضر الطلاب من كل قطر عربي لتقديم امتحاناتهم مرة واحدة كل عام.

١ مدينة غرب رام الله. أقيم فيها معهد لتدريب المعلمات. تابع لوكالة الغوث الدولية. وأنشأت البلدية على جزء من أرض هذا المعهد مسرحاً خاصاً للمهرجانات.

يعانون من العذاب نتيجة الحرب.

حاول صليبا في تلك الفترة عبور النهر مرتين، والعودة إلا إنه كان يفشل في ذلك، وفي مرة من المرات كاد الجيش الإسرائيلي أن يقتله. ويصف كيف استطاع في المرة الثالثة النجاح في عبور النهر إلى الضفة الغربية من النهر:

«في يوم من الأيام كنت جالساً صباحاً، أمام دكان زوج شقيقة صديقي على الرصيف أرتشف فنجان قهوة، وإذا أحد أصدقائي من رام الله يمرّ من أمامي فسلمنا على بعضنا، وسألته أين ذاهب، فقال لي سأحاول أن أقطع النهر والعودة فقلت له لنذهب سوياً. استأذنت السيد السكاب للذهاب، وتركت حقيبتني وكل ما معي، وتوكلت على الله مع صديقي وركبنا السيارة من عمان إلى الكرامة، وهي مدينة في غور الأردن قريبة من النهر. ذهبنا إلى شخص كان يعرف دليلاً يقطع النهر، فقال لنا إن هذا الرجل انتقل من (الكرامة) إلى (الكرامة)، كون هذه القرية أقرب إلى النهر من الكرامة، فركبنا في سيارة وتوجّهنا إلى الكريمة، وصلنا هناك وذهبنا إلى الرجل الذي يعرف من سيقطعنا النهر، وكان هذا الرجل من عائلة المحسيري يمتن تنجيد الفرشات واللحف فشرحن له وضعنا، فقال: انتظروا هنا وسيحضر هذا الرجل قريباً. وبعد فترة حضر هذا الرجل، وقال لنا انتظروني هنا حتى الساعة السادسة، وأعود إليكم، وبالفعل حضر في نفس الوقت ومعه ثمانية عشر شخصاً، وقال لنا: تفضلوا معي. وبدأنا السير نحو النهر حتى وصلنا ضفة النهر الشرقية، وقال لنا: سوف ننتظر هنا إلى ما بعد منتصف الليل حتى تمرّ الدورية الإسرائيلية في الضفة الغربية للنهر. وبعد مرورها طلب منا النزول إلى النهر بعد خلع ملابسنا ورفعها بأيدينا إلى الأعلى كي لا تتبلل، وعملنا ما طلب. وقطعنا النهر من الضفة الشرقية إلى الغربية، مشينا طوال الليل حتى الساعة الخامسة صباحاً، وصلنا كروم الموز في بلدة العوجا القريبة من مدينة أريحا، فركبنا الباص من العوجا إلى أريحا، ومن أريحا ركبنا الباص الساعة الحادية عشرة نهاراً وتوجهت إلى رام الله. لم يكن أحد من أهلي يعرف بعودتي، فاجأهم حينها، وكان والدي، رحمة الله عليه، يذهب كل يوم إلى الجسر عند النهر آملاً أن يراني أو يسمع شيئاً عني، وكان دائماً يعود من دون خبر».

وبعد فترة طلب أهل صليبا منه الهجرة إلى أمريكا، فرفض هذه الفكرة رفضاً قاطعاً، فقد كان دائماً يحارب فكرة الهجرة وتفريغ الأرض من أهلها. فعمل في بلدية رام الله كاتباً للهندسة. وفي اليوم الذي بدأ فيه صليبا عمله، علم أن ثلاثة من أصدقائه سيغادرون الوطن إلى أمريكا، هم: جمال نصار الذي أصبح فيما بعد أستاذاً جامعياً؛ وإبراهيم اللدعة الذي عمل فيما بعد في الأعمال الحرة؛ وعزمي حبيب الذي ما زال يعمل حتى الآن. وكان فراهم ثلاثتهم محزنًا وصعباً جداً على صليبا.

نادي الكاثوليك

أما عن علاقة صليبا بسرّيّة رام الله، فقد وقع خلاف بينه وبين معلم السريّة، آنذاك الأمر الذي أدّى إلى ابتعاده عن السريّة، وإنشائه نادي الكاثوليك، النادي المختلط الأول في المنطقة، كان نادياً ثقافياً واجتماعياً ورياضياً وفنياً ودينياً (بحسب طوطح)، وقد قبل هذا النادي بين صفوفه بعض الأعضاء المسلمين. قام صليبا في فترة وجوده في النادي بكتابة مسرحيات، وإخراجها وتمثيل الأدوار الرئيسية فيها، مثل: «العائد والحب والأرض» و«آباء وأبناء» و«عشاق الأرض»، وكان أغلبها ضد الهجرة وتفريغ الأراضي، بالإضافة إلى الموضوعات الأخرى، مثل موضوع سماسرة الأرض العملاء للعدو، وموضوع الأسرى والشهداء، وكان معظم هذه المسرحيات يُقام تحت رعاية الوجه الاجتماعي، مثل رئيس بلدية رام الله، المرحوم كريم خلف، بالإضافة إلى حضور المناضل، سيادة المطران هيلاريون كبوشي، الذي كان من المتوجب أن يفتتح آخر مسرحية بعنوان «شجرة التين» يوم السبت، لكن للأسف، فقد تم اعتقاله من قبل الجيش الإسرائيلي^٢ في يوم الخميس الموافق ١٨ آب/أغسطس ١٩٧٤، أي قبل افتتاح هذه المسرحية بيومين، ولم تر هذه المسرحية النور.

لا بدّ هنا من الإشارة إلى الأثر الكبير لهذا النادي في توعية شخصية الأعضاء وتهذيبها، إذ تعلموا الانضباط والاحترام ومارسوا عدة نشاطات. وأكثر ما ميز هذا

^٢ حكم على سيادته بالسجن مدة اثني عشر عاماً. لكن هذا الحكم الجائر لم يكن ليفت من عزيمة المطران كبوشي فغادر قاعة المحكمة شامخ الرأس. وهو يردد: «لقد آمنت دائماً بالله وليس بالإنسان. وسأواصل الصلاة من أجل البشرية كما كنت أفعل دائماً». وفي ٢٩ كانون الثاني/يناير ١٩٧٦ أعلن الإضراب عن الطعام وفي تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٧ أرسل بابا الفاتيكان رسالة إلى رئيس دولة إسرائيل يطلب إطلاق سراح سيادته.



فرقة نادي الكاثوليك، سنة ١٩٧١.

الجانب الشخصي من حياة صليباً طوطح

فيما يتعلق بشأن حياة صليباً الشخصية، فهو يذكر أنه في الفترة التي كان يدرّب على الديكة في دار المعلمين برام الله، كان له موعد مع الحب، مع أجمل فتاة عرفها في حياته، التي أصبحت زوجة المستقبل، حياة جورج أنضوني من مدينة بيت ساحور، التي كانت نغم الزوجة في كل الجوانب بالمحبة والتعامل، وعاشا معا الحياة حلوها ومرّها. وكان الحب هو الدافع لكليهما للاستمرار في الحياة الصعبة، فعلى سبيل المثال، من الجانب الاقتصادي، كان راتبه وراتبها لا يكادان يكفيان حتى نهاية الشهر، ولكن كما يذكر صليباً بفضل تدبيرها الممتاز في البيت، كانا لا يحتاجان لأحد. أصبح العبء أكبر وزادت المسؤولية عليهما، بعد إنجاب ابنتيهما سماح وكفاح، ولكن الحياة سارت، حتى أصبح عندهما ثلاث بنات أخريات: مرام وربا وشذا.

بعد أن أمضى صليباً ثلاثين عاماً موظفاً في بلدية رام الله، طلب منه قدس الأب نزيه الحايك، مدير مدرسة سيادة البشارة للروم الكاثوليك، أن يعمل في المدرسة مديراً للنظام، فوافق فوراً. وعيّن في المدرسة لمساعدة الأب نزيه في الإدارة، وهنا تحسن وضعه المادي، وبدأ يعمر بيتاً جديداً في إسكان الكاثوليك بالطيرة، حتى

النادي (يعود الفضل هنا إلى صليباً)، هو روح التآخي العظيمة بين الأعضاء المسيحيين والمسلمين، بحيث لم يشعر الأعضاء المسلمون بأي تمييز، بل على العكس كانوا مندمجين فعلياً فيه، ومقدّرين كثيراً ما كان يقدمه إليهم هذا النادي. ولا يُنكر كاتب هذه السطور أن ذكرى هذا النادي ما زالت في قلبه حتى يومنا هذا، فهو مدين له وللعمالة وللأسلوب الأخوي، الذي كان يسلكه صليباً مع الأعضاء ككل، ولا أحد ينكر أنه كان صارماً في كثير من الحالات خاصة أثناء تدريبه للديكة، وهذا دليل على حرصه على إيصال رسالته التربوية بوضوح، من أجل إعلاء شأن بلده.

يشير صليباً في مذكراته إلى مدى إعجاب المشاهدين بهذه المسرحيات، التي أُلحقت المشاعر الوطنية لديهم، وتناولت موضوع التمسك بالأرض كأعلى شيء يملكه المواطن. تخلل هذه المسرحيات عروض موسيقية ولوحات راقصة من وحي الفلكلور الشعبي الفلسطيني ودبكات بلاد الشام، حيث قام صليباً بتدريب أعضاء الفرقة، شابّات وشباباً، بمفرده، وساهم في رسم اللوحات والخلفيات، لأجل تكامل النشاطات والأعمال، التي تناولتها الصحف المحلية على صفحاتها الأولى، وأشادت بمواضيعها، وبطريقتها وأسلوبها في طرح تلك المواضيع. ومن الجدير بالذكر أن هذه العروض كانت، بمثابة مهرجانات فنية تستمر عدّة أيام تجمع فيها التبرعات، ويلتقي المواطنون معاً.

تمّ تجهيزه سنة ٢٠٠١. وبذلك انتقل وأسرته من حي الماصيون إلى حي الطيرة.

بالإضافة إلى عمل صليبا في البلدية والمدرسة لاحقاً، فقد درّب في جمعية الشبان المسيحية بالقدس على الدبكة فترة وجيزة، ثم قام بالتدريب في جمعية الشابات المسيحية بالقدس منذ سنة ١٩٧١، حتى بداية الانتفاضة الأولى سنة ١٩٨٧، إذ لم يعد في استطاعة أحد الذهاب إلى القدس بسهولة.

قام صليبا في الفترة التي عمل فيها في جمعية الشابات المسيحية، بإدخال عنصر الشباب في الفرقة، ونقل معظم أعضاء الفرقة في رام الله إلى فرقة الجمعية في القدس، بحيث كانت تقوم هذه الفرقة بعرض فني كل عام، يحضره جمهور لا بأس به، كما وكانت تقوم بعروض خاصة لمجموعات السائحين، الذين كانوا يزورون مدينة القدس. كما وقام صليبا أيضاً بالتدريب على الدبكة مدة طويلة بمدينة بيت لحم في جمعية الاتحاد النسائي العربي، وببيت جالا في جمعية رعاية الطفل، وببيت ساحور عمل خلالها عدة عروض. لا بد من الإشارة إلى عرض مميز قام به، حيث كانت تأتي فرقة موسيقية من مدينة الناصرة في شمال فلسطين كل يوم خميس وتبقى الجمعة والسبت، وكان يقوم بالتدريب على الدبكات على موسيقى هذه الفرقة وغنائها، وكان المميز في هذا العمل رقصة تعبيرية بعنوان «يا منتهى هل تسمعين صوتا يغني بالجليل»، ألف كلماتها الشاعر الجليلي سعود الأسدي، ولحنها شباب الفرقة الموسيقية، التي كانت تعمل مع صليبا. كانت هذه الأغنية تحاكي الشهيدة منتهى الحوراني، التي استشهدت في مدينة جنين وكانت أول شهيدة في تلك الفترة. لاقى هذا العرض ترحيباً وإعجاباً شديداً من الجمهور، وعرض في مدرسة المطران بالقدس، وعلم بها الاحتلال، فما كان منه إلا أن أوقف صليبا عن عملها فوراً، وحكم على هذا العمل بالإعدام.

إلى ذلك، درّب صليبا البنات والشباب، كل على حدة في نادي شعفاط، وقاموا ببعض العروض. كما ودرّب أيضاً بدير عمار في المخيمات الصيفية، التي كانت تقيمها وكالة غوث اللاجئين للشباب وبعدها للبنات، بحيث تقوم هذه الفرق كل آخر مخيم بعمل عرض فني يلاقي إعجاباً من الجمهور. استمرت هذه المخيمات مدة تسع سنوات، كان يذهب خلالها إلى دير عمار سنوياً، وعمل كذلك في القرى الفلسطينية، مثل جفنا والطيبة وبيروزيت والناصرة.

فتح صليبا في الفترة ١٩٩٢ - ١٩٩٥، مخيمات صيفية في مدرسة الكاثوليك وديرها وناديه في رام الله،

وقامت على أسس النشاط الديني والثقافي والرياضي والفني. كان يفتتح المهرجان في هذا اليوم سيادة مطران الكاثوليك في القدس، وجمع غفير من أهالي المشاركين والضيوف، ويقوم الأعضاء في آخر كل مخيم بعرض رياضي ومعرض فني. فقد كانت هذه المخيمات الأربع من أنجح المخيمات في المنطقة بشهادة أهالي الأعضاء المشاركين وبشهادة بعض المؤسسات المهمة بهذا النوع من النشاطات.

وعودة إلى حياة صليبا العائلية، فابنته البكر سماح تخرجت في جامعة بيرزيت، قسم الهندسة المعمارية، وتزوجت مباشرة من توفيق أنطون زكاك، وأنجبت ابنتها البكر أنطون وبعد فترة أنجبت أليسا وصليبا الصغير تيمناً بصليبا الكبير، وكما يشير صليبا إلى أنها اهتمت بتربية أبنائها أكثر من ممارسة ما تعلمته في الهندسة؛ وتخرجت ابنته الثانية كفاح، في جامعة بيرزيت، من كلية التجارة تخصص محاسبة. وعملت مباشرة في الجامعة نفسها في قسم المالية، وتزوجت من سيمون إبراهيم عرييد وأنجبا أنجلينا وكركستل؛ أما ابنته الثالثة مرام، فقد تخرجت في جامعة بيرزيت، كلية الصحافة والإعلام، ثم عملت مقدمة برامج في تلفزيون وطن، وعملت فور تخرجها مذبة في راديو أنغام المحلي. وفي هذه الأثناء تزوجت من شارلي عيسى مريبع. وأنجبت ابنتها البكر لور؛ أما ابنته الرابعة ربا، فقد تخرجت في جامعة بيرزيت، كلية الآداب تخصص إنجليزي مع ترجمة، تعمل في مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، فقد أمضت قسماً كبيراً من طفولتها هناك. وشذا، آخر العنقود أتت الثانوية وحصلت على معدل ٩٨٪ في امتحان التوجيهي، وانتسبت إلى جامعة بيرزيت وهي حتى الآن، عضو بارز في فرقة سرية رام الله الأولى للرقص، سافرت إلى أكثر من مكان خارج فلسطين للقيام بالعروض في مختلف الدول. وهي الآن تدرّب على الرقص في مدرسة الرقص بالسرية. وقد اختيرت هي وفتاة أخرى من الفرقة للذهاب إلى واشنطن مدة أسبوعين، وذلك للحصول على دورة في أصول الباليه والرقص المعاصر. وكما يذكر صليبا، إن من الممكن أن تكون شذا خليفة والدها صليبا طوطح في التدريب على الدبكة والرقص.

يقول صليبا في نهاية مذكراته أنه يحيا الآن مع حياته، يقصد زوجته الحبيبة «حياة»، التي ستبقى حبيبة حتى فراق الموت. يعيشان مع ربا وشذا في الطيرة. «وتكون الفرحة الكبيرة عندما يزرنهم بناتهم، سماح وكفاح ومرام وأزواجهن وأبنائهن، ويجتمعوا في البيت هناك وتكون الفرحة بوجود الجميع. يقول صليبا: «في هذا الوقت أحس أنني إمبراطور يجلس بين رعيته».

حاول صليبا طوطح في هذه السطور، وتجربته الشخصية والأيام والساعات، وكل ما أمضاه في العمل المسرحي، أن يقوم بإرساء قاعدة للدبكة الفلسطينية بين صفوف الشباب والشابات الفلسطينيين، والحفاظ على الفلكلور الشعبي وقضايا الوطن من الهجرة والاحتلال والأسر والاستشهاد. نعم، لقد جاهد بوقته وماله واستطاع

أن يحقق ما كان يرغب فيه. والآن، نرى الأجيال التي تخرجت على يده تكمل المسيرة التي بدأها. ولا يسعنا في النهاية، إلا أن نقدم إليه الشكر والامتنان على ما قدمه إلى فلسطين وإلى الحركة الفنية الفلسطينية من خدمات جليلة، متمنين له الصحة والسعادة مع أسرته وأحبائه. وسيذكره التاريخ لتفانيه ومواقفه الرجولية والنضالية.

صدر حديثاً

رَّيْلُ إِسْرَائِيلَ الْعَامِ ٢٠١١

رَّشِيسُ التَّخْرِيرِ
كَمِيلُ مَنصُور

مَسَاعِدُ رَّشِيسِ التَّخْرِيرِ
خَالِدُ فَرَّاج

مُؤَسَّسَةُ
الْحِرَاسَاتِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ